تاريخ الاستلام: 2023/11/10م تاريخ القبول: 2023/11/22 تاريخ النشر: 2023/12/31م

مجلة علمية محكمة نصف سنوية – تصدر عن كلية التربية بجامعة الزاوية
العدد الثامن والعشرون – ديسمبر/ 2023م

تطور نظام الحجابة في الأندلس خلال العصر الأموي

(138هـ/756م-422هـ/1031م)

سهام سليمان الميساوي
قسم التاريخ – كلية التربية أبوعيسى – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
Email: Siham.Missawi.ly@gmail.com

الملخص:

تعد دراسة النظم العربية الإسلامية من أهم الدراسات التاريخية وأصعبها لأن بعض جوانبها لاتزال غامضة ولم تبحث كل نواحيها وزواياها ، كما أن هذه النظم لم تنشأ مرة واحدة وإنما نشأت خلال عصور تاريخية عديدة يصعب على الباحث تحديد أصول بعضها أحيانا ، .ونظام الحجابة من النظم العربية الإسلامية التي أختلف المؤرخون في بدايات ظهورها الا ان ما أكدوا عليه وجود (نظام الأذن) التي تعود بداياته إلى عصر الرسول محمد (ص) ويعتبر الأساس في نشوء نظام الحجابة الذي أصبحت له نظمه وتقاليده في العصر الأموي ، فبعد وصول الأمير عبد الرحمن الداخل إلى سدة الحكم في الأندلس وإقامته الدولة الأموية فيها، وضع الركائز الأساسية للنظام السياسي والإداري، عندما أنشأ عدة مناصب سياسية منها الحجابة، الذي وضع له شروط ورسوم لمتوليه وبلغ الحاجب في هذا العصر مكانة رفيعة وسلطة بالغة فاقت مكانة وسلطة الوزير .

The development of the hijab system in Andalusia during the Umayyad era (138 / 756 - 422 / 1031)

Siham Suleiman Al-Missawi
Department of History - Faculty of Education - Zawia University
Azzawia -Libya
EMAIL: Siham.Missawi.ly@gmail.com

ABSTRACT

The study of the Arab-Islamic systems is considered one of the most important and difficult historical studies because some of its aspects are still mysterious and all its aspects and angles have not been studied. Moreover, these systems did not arise at once, but rather arose during many historical eras. It is sometimes difficult for the researcher to determine the origins of some of them. The Hijabah system is one of the Arab-Islamic systems. Historians differed about its beginnings, but what they confirmed was the existence of the "ear system," whose beginnings go back to the era of the Messenger Muhammad (PBUH) and is considered the basis for the emergence of the hijab system, which had its own systems and traditions in the Umayyad era. After Prince Abd al-Rahman al-Dakhil came to power in Andalusia and established the Umayyad state there, he laid the basic foundations of the political and administrative system, when he created several political positions, including the chamberlain, for whom he set conditions and fees for his subordinates. The chamberlain in this era attained a high position and great authority that exceeded the status and authority of the minister.

المبحث الأول : المقدمة

يعد نظام الحجابة ركن مهم من أركان النظام الإداري للدولة العربية الإسلامية وأحد أهم المظاهر الحضارية لما توفره من الاستقرار و السلم و التطور و الازدهار، و مما لا شك فيه أن التفوق السياسي و العسكري و الاقتصادي لأيدولة متعلق بقوة نظامها و مدى تطورها و انضباط مؤستها الإدارية المختلفة على مختلف الأصعدة المدنية والعسكرية، و إن من أهم تلك الانظمة في الدولة الاسلامية ما يصطلح عليه بنظام الحجابة . فعندما استقلت الاندلس عن المشرق وبدأ تطور نظام الحجابة في الاندلس فلم يعد الحاجب ذلك الرجل الذي يقف بباب الخليفة ليحجبه عن الخاصة والعامة كما كان الحال في المشرق الاسلامي إذ اصبح الحاجب في الاندلس أعلى سلطة من الوزراء، وكان هو حلقة الوصل بينهم وبين

الخليفة الاموي، واحيانا كان الحاجب يتولى الحجابة والوزارة معا كما حدث في عهد الناصر ولما ضعفت الخلافة الأموية في الاندلس اخذ نفوذ الحاجب يقوى شيئا فشيئا حتى استبد بكل امور الدولة وصار اختصاصه يشمل الشؤون المدنية والعسكرية ومن اشهر من تولى منصب الحجابة الحاجب المنصور بن ابي عامر الذي اسس الدولة العامرية في الاندلس .

أهمية الدراسة : . يشكل هذا النوع من الدراسات في الجوانب الأدارية جانباً مهماً في التاريخ الإسلامي والحضارة الأسلامية خاصة ان معظم الدراسات التاريخية ركزت علي الجانب السياسي وأهملت الجوانب الأخرى .

. أنّ هذا الموضوع مهم وجدير بالدراسة والبحث والتّقصّي حيث أن الاستقرار والسلم و التطورلأي دولة مرهون بمدى تطورها وانضباط مؤسساتها الإدارية المختلفة .

أهداف الدراسة: ـ التعرف على أهم العوامل والأسباب الكامنة وراء التطورالكبير والسريع لنظام الحجابة في الأندلس خلال العصر الأموي .

ـ محاولة ابراز أهمية النظم الادارية المتطورة كتنظيم الحجابة و رسوم الحاجب كمظهر من مظاهرمؤسسات الحكم و الادارة .

. تتبع الأوضاع العامة في الأندلس زمن الأمويين ومدى تأثيرها في توسع سلطة الحاجب .

أشكالية الدراسة : تسعى هذه الدّراسة إلى حلّ إشكالّية تحديد الأسباب الحقيقية وراء التطورالكبيرو الخطير لمنصب الحجابة حتى وصفه المؤرخون بأنه من أخطر المناصب الأدارية في الأندلس خاصة في مراحل الضعف التي مرت بها الدولة الأموية .

تساؤلات الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على العديد من التساؤلات منها:

ـ كيف اختلفت مهمات وصلاحيات الحاجب في الأندلس عما كانت عليه في المشرق سواء في عهد الإمارة أو الخلافة ؟

. هل كان منصب الحجابة في الأندلس أرفع مستوى من منصب الوزير ؟

. متى بدأ التطور الفعلي لمنصب الحجابة في عصري الامارة والخلافة بالاندلس؟

. مامدى تأثير ومساهمة سلطة ونفود الحجاب في أضعاف كيان الدولة الأموية في اواخرعهدها؟

الكليمات المفتاحية : الحجابة في العصر الأموي ، النظم الأدارية الأسلامية ، رسوم الحجابة .

المبحث الثاني : شروط ومراحل تطور منصب الحجابة .

الحجابة ركن مهم من أركان النظام الإداري للدولة العربية الإسلامية نالت اهتمام الفقهاء حتى وضعوا لها الشروط فيمن يتولاها والواجبات عليه، ظهرت في عصر صدر الإسلام وأكدت المصادر التاريخية وجودها في عصر النبي (صلى الله عليه وسلم) ولكن لم تكن لها أنظمة ومراسيم معقدة إذ يعتمد عمل الحاجب طلب الأذن من النبي(صلى الله عليه وسلم) لمن يريد مقابلته في الأوقات التي يفضل فيها النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يخلو بنفسه في المسجد أو في بيته أما الأوقات الأخرى فلم يلزمه وجود الحاجب أو البواب ويبدو أن بعض الصحابة تطوعوا لهذه المهمة رغبة منهم بخدمة النبي(صلى الله عليه وسلم) وقضاء اكبر وقت ممكن بالقرب منه لينهلوا من أقواله و يتسنوا بأفعاله (الطقطقي، 1997، ص164–180)، ثم سار الخلفاء الراشدين من بعده على هذا السياق ولكن عمله أيضا لم يتعد تنظيم عملية الدخول على الخليفة وان وضع لعملية الدخول معايير أهمها السابقة في الإسلام ثم حظيت هذه الوظيفة باهتمام الأمويين حتى جعلوها حكرا على الموالين والمقربين لهم الأمر الذي أدى إلى الاعتقاد إلى أنها من الوظائف المستحدثة في العصر الأموي (الصالحي، 2011، ص31–32)، حيث كان أول من اتخذ الحاجب على بابه هو معاوية بن أبي سفيان، وكان على حجابته نولاه سعد(تدمري، 2012، ، ص262)، وتبعه في ذلك من جاء بعده من الخلفاء والأمراء(عبد اللطيف، 2008م ص121)، إلا أن هذا المنصب كان بدائياً إلى حد كبير، إذ اقتصرت مهمة القائم به على حماية الخليفة من التعرض للأذى أو الاغتيال كحادثة مقتل علي بن ابي طالب على أيدي الخوارج، وكحادثة مقتل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، إضافة إلى ابعاد العامة عن الخليفة تلافياً لازدحامهم على بابه وشغله عن النظر في مهام الدولة، يقول ابن خلدون: "ولما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بدئ به في الدولة شأن الباب، وسده دون الجمهور، بما كانوا يخشون على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم، كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب "(ابن خلدون، ص605) ثم تجاوزت الحجابة مرحلتها الأولى في حفظ باب الخليفة والاستئذان لمن يدخل عليه، إلى منع الناس من مقابلته إلا في الأمور الهامة (العزاوي، 2010م، ص86)، وكان الخلفاء يتخيرون لهذا المنصب من أفضل رجالهم، يتضح ذلك من وصية عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز حين ولاه أميراً على مصر فيقول: "وانظر حاجبك فليكن من خير أهلك، فإنه وجهك ولسانك،

ولا يقفن أحد ببابك إلا أعلمك مكانه لتكون أنت الذي تأذن له أو ترده" (ابن طباطبا، ص92)، وبدخول عبد الرحمن بن معاوية الداخل الأندلس حيث تمكن من تأسيس دولة أموية مستقلة (138 هـ/ 172 م) على قواعد و أسس متينة و نظم وذلك من خلال اقتباسه من بعض الأنظمة التي كانت سائدة في المشرق، و من تلك الأنظمة الحجابة التي كانت من الأنظمة التي نقلها عبد الرحمن الداخل للأندلس. مع بداية عصر الإمارة وبالتالي الحجابة والحاجب منصب إداري مشرقي، مهمته إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم. ولم تعرف الأندلس تنظيمًا إداريا واضح المعالم، إلا بعد وصول الأمير عبد الرحمن الداخل إلى سدة الحكم هناك، وإقامته الدولة الأموية فيها، فقد وضع الركائز الأساسية للنظام السياسي والإداري، عندما أنشأ عدة مناصب سياسية منها الحجابة، فبعد أن أعلن عن قيام إمارته، اتخذ عددًا من المستشارين والأعوان اختصهم بمجالسته، واختار من بينهم شخصًا لقبه بالحاجب.(المقري التلمساني 1408هـ- 1988 م. 1/ 216)

ويوضح لنا ابن خلدون الفرق بين منصب الحاجب لدى الأمويين بالأندلس عنه لدى العباسيين في بغداد، فهو لدى العباسيين خاص: "بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم أو يفتحه لهم على قدره في مواقيته، وكانت هذه مُنَزَّلة عن الخطط مرؤوسة لها، إذ الوزير متصرف بما يراه... وأما في الدولة الأموية بالأندلس فكانت الحجابة لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم".(ابن خلدون، ص671) وعلى أي حال لا يختلف منصب الحجاجة في العصر الأموي في الأندلس عن مثيله في المشرق العباسي إلا أنه بدأ بها قوياً منذ الوهلة الأولى لتأسيس الدولة على يد الأمير عبد الرحمن الداخل (138 – 172 هـ) الذي قلده أخلص رجاله، من أمثال: يوسف بن بخث وعبد الواحد ابن مغيث الرومي وغيرهم، وهو إلى حد كبير بمثابة رئيس الوزراء (متز، د ت، ص187) ارتفعت مرتبة الحجابة و تغير مفهومها في عهد عبد الرحمن الأوسط حيث كانت مهمة الحاجب هي فقط تنظيم دخول الناس على الخليفة ارتقى ليصبح رئيسا للوزراء في الأندلس، ومن حجاب عبد الرحمن الأوسط نذكر : عيسى بن شهيدو عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، و لما توفي عبدالكريم بن مغيث تنافس الوزراء كلهم على خطة الحجابة كل يريد أن يكون هو الحاجب مما اغضب الأميرعبد الرحمن الأوسط و اقسم لا يولي أحدا من الوزراء الحجابة و أمربالا ن الخزان وهم القائمون على

الشؤون المالية و كان عددهم أربعة فوقع الاختيار على سفيان بن عبد ربه. (ابن الابار 1963، ص135) .

وكان الحاجب الشخصية الأولى في الأندلس بعد الخليفة و لذلك كان يختار من اعرق الأسر وبعتباره أهم شخصية في الدولة بعد الخليفة، يتم تعيينه من قبل الأميرأو الخليفة وفق مرسوم خطي(بن حسين، 1971 م. ص166)، و في عهد عبد الرحمن الناصر، ولي في يوم مبايعته بدر بن أحمدا لحاجب بعد وفاة الحاجب بدر ولي الحجابة موسى بن احمد بن حدير، و بعد وفاة موسى بن حيدر لم يتخذ الخليفة الناصر حاجبا، إذ حصر جميع السلطات في يده (ابن عداري المراكشي، 1983 م، ص158)ولان منصب الحجابة من المناصب الخطيرة لذلك يشترط لمن يتولها صفات الأمانة والصدق و الولاء وتختبر من خلال ما توكل اليه من مهام في دار الخلافة كما يقتضي ان يتصف بصفات خلقية كالفطنة والذكاء وصفات خلقية كأن يكون قوي البنية ذا هيبة ومهابة (ابن عذاري: د ت، ص253)

وقد أشار الصابئ الي صفات الحاجب فقال "سبيل الحاجب ان يكون نصفه مكتملا، وق أحكمته الأمو وحنكته، أو شيخلا متماسكا قد عجمته الدهور وله عقل وحزم يدلانه على صواب مايأتي وما يدور فهو سبحان له مسالك ما يورد وما يصدر"(الصابئ، 1986م، ص171) ويبدو لنا جليا أن منصب الحجابة لا يتولاه إلا أشهر رجال الدولة، فإما أن يكون من أهل السيف مثل بدر بن أحمد، أو من رجال القلم مثل عيسى بن شُهيد وجعفر المصحفي، أو من رجال السيف والقلم معًا مثل عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث وهاشم بن عبد العزيز (ابن حيان، د ت، ص240. 241)

ولقد بلغ اهتمام الخلفاء الأمويين بأمر الحجاب درجة أوجبت عليهم وعلى ولاتهم أن يوجهوا النصائح والإرشادات لهذا الحاجب حيث يُروى أن زياد بن أبيه قد كتب على بساطه إلا حجاب عن صاحب ثغر ولا طارق بالليل (ابن حيان، د ت، ص26) كذلك على الحاجب المرور بعدة اختبارات قبل تولي منصب الحجابة عن طريق التدرج في تولي المناصب من الأدنى الى الأعلى فنجد ان تاريخ حجاب بني أمية بالأندلس، نجد أن أياً منهم لم يصل إلى هذا المنصب إلا إن كان من صنائعهم، بالإضافة إلى أنه لابد من المرور بعدة مناصب هي أشبه ما يكون بالتدرج الوظيفي، فإذا ظهرت كفاءته فيها، رقي إلى منصب الحجابة.فالحاجب سفيان بن عبد ربه "كان من أكابر رجال أهل الخدمة الكفاة المستقلين بأعبائها، ... تولى خدمة الخزانة الكبرى أيام الأمير الحكم ... ولم يزل ينتقل في مراتب

الخدمة إلى أن نال الحجابة" (ابن عذاري، د ت ص253)، وهذا التدرج الذي مر به الحاجب سفيان بن عبد ربه سلكه خلفه الحاجب عيسى بن شُهيد، فقد ولاه الأمير عبد الرحمن الأوسط "خطة الخيل، ثم ستوزره، وولاه النظر في المظالم وتنفيذ الأحكام على طبقات أهل المملكة، ثم استحجبه (ابن عداري، د ت، ص253).

المبحث الثالث : اختصاصات ومهام الحاجب .

الحاجب منصب إداري عربي، مهمته إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم، وهو يشبه منصب كبير الأمناء أو رئيس التشريفات (ابن حيان، د ت، ص27)، ويقول ابن خلدون أنه: "لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم " (ابن خلدون، د ت، ص609)وعرفه ابن أبي الربع بقوله: "الحاجب فهو الواسطة بين الملك وبين من يريد لقاءه ليرتب الناس بين يدي الملك كما يليق بمجلسه وصفته ". (ابن أبي الربيع، د ت، ص431) ثم تطورت وظيفتة من اغلاق باب الخليفة دون الناس او فتحه لهم الى تنظيم مقابلة المراجعين للخليفة وترتيبه في الدخول عليه مراعيا في ذلك مركزهم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي واهمية اعمالهم. حيث كان الحجاب يفضلون في الدخول أهل البيوتات أي أهل النسب فإذا تساوت الأنساب، فضلوا أهل السن، فإذا تساوت فضلوا أهل الأرب والعلم. (ابن عداري، د ت، ص253)

هذا وقد اختلفت مهمات الحاجب في الأندلس عما كانت عليه في المشرق سواء في عهد الإمارة أو الخلافة فقد كان منصب الحجابة في الأندلس أرفع مستوى من منصب الوزير، لأن الوزراء كانوا مستشارين يجمعهم الأمير أو الخليفة حوله وينتقى من بينهم الحاجب الذي كان يعاون الأمير في الإدارة والحكم، وكان بمنزلة رئيس للوزراء يشرف على القصور الملكية وعلى القضاء وديوان المالية، وإذا كان منصب الحجابة قد بقي شاغراً مدة ثلاثين سنة في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث فإن ابنه الحكم الثاني عاد إلى تعيين حاجب له بعد وفاة والده (الشنتريني، 1979م، ص67)

وللحاجب مهام ومسؤوليات أنيطت به، عليه الالتزام بها وتأديتها على الوجه الأكمل، فعن طريقه يتم الوصول للأمير أو الخليفة(ابن القوطية، 1989 ص37)كما أنه هو المتحدث معهما نيابة عن الوزراء (ابن حيان، ص27)"هو صاحب الكلام وقيمٌ البيت "(ابن حيان، د ت، ص154) كما أنه يفصل فيما يجري بين الوزراء من اختلاف (المقري، د ت، 3/ 540)وعليه اتخاذ التدابير اللازمة لنزهة الأمير أو الخليفة [29]' (ابن حيان، د ت،

ص)وإذا كونت لجنة للإشراف على بناء ورفع تقرير مفصل عن هذه المهمة للأمير أو الخليفة فالحاجب يتولى رئاسة تلك اللجنة (ابن عداري، د ت، 2/ 233)، كما أن من وظائفه النظر في أحباس الخليفة (ابن عداري، د ت، 2/ 234)، وأخذ البيعة لولي العهد (ابن حيان، ص66، ابن عداري)، وفي بعض الأحيان يتولى الحاجب أمر إدارة الدولة وتسيير شئونها.(ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص45)والحاجب يجمع إلى جانب خطته، خططاً أخرى، فالحاجب بدر بن أحمد حاجب الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يتولى مع الحجابة خطة الوزارة وخطة الخيل والبُرُد، بالإضافة إلى قيادة الجيوش والإشراف على الولاة، (ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1/ 253.5)ومن قبله الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث فقد كان يتولى للأمير الحكم الربضي الحجابة والكتابة وقيادة الجيوش.(ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1/ 253.5)

المبحث الرابع: الصراع علي منصب الحجابة و تسلط الحجاب على الخلفاء .

ان التنافس على تولي منصب الحجابة أبلغ دليل على سمو هذا المنصب، واهميته ورفعة شأن متوليه، حيث كان الحاجب يتقاضى راتبا على وظيفته مقداره ثمانون دينارا في الشهر، ولا يسير إلا في موكب ضخم، وفي المناسبات الرسمية يكون دائما عن يمين الخليفة؛ كذلك الأمير بعد أن يجلس لاستقبال أصحاب الخطط و أنا الحاجب يتقدم الجميع عند السلام على الأمير و يجلس على فراش ارفع من فرش الوزراء و هو الذي يتولى الرد على أسئلةالأمير و استفساراته (ابن خلدون، 1981 م، ص200)ولذلك كان التنافس شديد بين الوزراء للوصول إلى هذا المنصب.الذي يعتبر الثاني بعد الخليفة (خلف، 2003 م، ص4)

فقد ذكر ابن القوطية أن بعد وفاة الحاجب عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث، أكثر الوزراء من الكتابة للأمير عبد الرحمن الأوسط كل واحد منهم يخطب منصب الحجابة لنفسه، فلما أكثروا عليه، جعلها معطلة مدة يسيرة، ثم ولاها أحد الخزان، كذلك في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ظل منصب الحجابة معطلًا طيلة ثلاثين سنة. (ابن الابار: مصدر سابق، ص352)و لقد كان متولي الحجابة عرضة لحسد الآخرين و مكائدهم و المصادر الأندلسية فيها من النصوص ما بين ذلك منها : ما ذكره ابن حيان الرازي أن نصر الخصي الغالب على دولة الأمير عبد الرحمن الأوسط كان في قلبه غصة على الحاجب عيسى بن شهيد بسبب مساندته لمحمد بن عبد الرحمن ليصبح وليا للعهد، مخالفا بذلك رغبة

نصر بتولي عبد الله أميرا و لذا فقد استغل نصر الخصي احتجاب الأمير عبد الرحمن بسبب إصابته بمرض المّ به فسارع إلى تزوير مرسوم على لسان الأمير يصرف ابن شهيد على الحجابة إلى الوزارة و ترقية الوزيرعبد الرحمن بن رستم (ابن حيان، ص47)ليكون حاجب و تم تنفيذ الأمرفلما شفي الأمير من علته، قعد لأهل خططه فدخلوا عليه يتقدمهم الوزراء و عيسى في عرضهم، فتقدم عبد الرحمن بن رستم جماعتهم في التسليم على الأمير ثم قعد فوق عيسى بن شهيد فاستنكر الأمير ذلك فلما استقر قال لعيسى بن شهيد فيما يخاطبه به: أين حاجبه فادعى أن وصية خرجت إليه من لديه صدر عليه فكذبه الأمير و علم أن من حيل نصر الخصي فأغلظ له وهم به ثم عفا عنه و أعاد عيسى بن شهيد إلى الحجابة و عزل عنها عبد الرحمن بن رستم و تركه على الوزارة (ابن الآبار، ص144) .

وعندما دب الضعف في الدولة الأموية بالاندلس ازداد نفوذ الحجاب لدرجة ان الخليفة لم يصبح له نفوذ معه وأصبح الحاكم المطلق في الدولة ودعى له على المنابر ونقش أسمه على الملابس المنسوجة بالذهب كما ينسج أسم الخليفاء كما نقش أسمه ايضا على النقود الى جانب أسم الخليفة (ابن خلدون، ص236 . 341.)

فبعد موت الحكم المستنصر، بويع ابنه هشام للخلافة بعد ان قتل اخوه الحكم المغيرة المرشح حيث استطاع محمد بن ابي عامر الفتك به معتمدا في ذلك على جعفر بن عثمان المصحفي حاجب الحكم، ثم تمكن ابن عامر أمر الحجر على هشام لصغر سنه وشجعه على ذلك علاقته الطيبة بأمه صبح البشكنجية (المقري، ص396)و ذلك تحقيقا لرغباته التي رسمها في عهد الحكم المستنصر لكي ينفرد بالسلطة في الاندلس، بدأ محمد بن أبي عامر في التخطيط لإزاحة الحاجب جعفر المصحفي من طريقه إلى قمة السلطة، فاستغل سوء العلاقات بين جعفر المصحفي وغالب الناصري صاحب مدينة سالم بسبب اتهام جعفر لغالب بالتقصير في الدفاع عن الحدود الشمالية أمام حملة الممالك المسيحية في الشمال على حدود الدولة بعد وفاة الخليفة، كما استغل حسن علاقته بصبح أم الخليفة التي كانت تساعده على إنفاذ ما بدا له من مراسيم باسم الخليفة، حيث استطاع ان يضرب خصومه بعضهم ببعض و أول ما بدأ به بن ابي عامر هو القضاء على الصقالبة الخدام بالقصر و تجرأ هشام المؤيد –بدعم أمه وابن أبي عامر– وعين القائد غالب الناصري شريكًا في الحجابة مع المصحفي، وذلك وإضعاف المصحفي، وأخيرًا صدر الأمر بتولية المنصور ابن أبي عامر منصب الحجابة منفردًا (البتوني، د. ت، ص.69)

والإطاحة بالمصحفي والقائد غالب، لينفرد المنصور بالمنصب ويصبح هو الحاكم الفعلي للبلاد. بعد أن صدر أمر الخليفة هشام المؤيد بعزل جعفر المصحفي عن الحجابة، وتنصيب ابن أبي عامر مكانه، أمر الخليفة بإلقاء القبض على المصحفي وعلى ولده وأنسابه وابن أخيه هشام وسائر طبقته وأوكل أمر محاسبتهم إلى ابن أبي عامر، فصادرهم ونكل بهم (السشنتريني، ص52)، وبعد هلاك المصحفي رسم المنصور بن أبي عامر لنفسه سياسة توصله إلى الاستبداد التام بالخلافة، فأسقط رجال دولة الخليفة الحكم المستنصر من سائر الطبقات، ومزقهم، واتخذ عوضا عنهم رجالًا اطمأن إلى مدى إخلاصهم له، فسدوا – مكان أسلافهم، ومحوا ذكرهم وأعانوا المنصور على مراده (ابن عذاري، ج 2، ص39)، الذي تلقب بعد ذلك بالحاجب المنصور. استطاع الحاجب المنصور أن يؤسس دولة داخل الدولة، حتى إن بعض المؤرخين سماها الدولة العامرية ؛ حيث خلف الحاجب المظفر أباه المنصور في كافة سلطاته ومناصبه، ثم خلفه أخوه شنجول بعد وفاته عام 399هـ الذي اتخذ خطوة أكثر جرأة، حيث أجبر الخليفة هشام المؤيد على إصدار مرسوم بتوليته العهد من بعده.(ابن عذاري، ص42)

الخاتمة

. الحجابة لقب لمنصب في البلاط أو لوظيفة في البلاد الإسلامية اختلفت المهمات الموكلة إلى صاحبها باختلاف المناطق والحقب التاريخية، فقداختلفت مهمات الحاجب في الأندلس عما كانت عليه في المشرق سواء في عهد الإمارة أو الخلافة حيث كان منصب الحجابة في الأندلس أرفع مستوى من منصب الوزير و بدأ قوياً منذ الوهلة الأولى لتأسيس الدولة على يد الأمير عبد الرحمن الداخل (138 – 172 هـ) الذي قلده أخلص رجاله، من أمثال: يوسف بن بخث وعبد الواحد ابن مغيث الرومي وغيرهم.

. كان الحاجب يعاون الخليفة في الإدارة والحكم، وكان بمنزلة رئيس للوزراء يشرف على القصور الملكية وعلى القضاء وديوان المالية كذلك تشغل اختصاصته الأمور المدنية والعسكرية.

ـ أصبح منصب الحجابة نقطة الانطلاق التي حققت لابن عامر مطامحه، فقد نجح في عام 367 هـ/977م في أن يتوصل إلى منصب الحاجب، ثم أن يجمع كل السلطات في يده في خلافة هشام الثاني الصغير السن، واتخذ لنفسه عام 371 هـ/981م لقب المنصور بالله وسيطر على مقاليد الأمور وعرفت أيامه بفترة الحجابة؛ حيث تولى أمرها

الحاجب المنصور وأولاده من بعده، وقد أحاط الحاجب المنصور نفسه بهالة من الأبهة والفخامة..

ـ إنّ الهيبة التي ارتبطت بمنصب الحجابة استمرت حتى بعد سقوط الخلافة الأموية، فإن أمراء دول الطوائف اتخذوا لأنفسهم في بادئ الأمر لقب الحاجب للدلالة على أنهم نواب الخليفة في حكم مناطقهم.

المصادر والمراجع :

1. ابن أبي الربع، سلوك المالك في تدبيرالممالك، القاهرة مطبعة الشعب 1983مج2.
2. ابن الآبار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكرالقضاعي البلنسي): الحلة السيراء في اشعار الأمراء، الشركة العربية للنشر، القاهرة، 1963 م ج1.
3. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ج3.
4. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن، الفخري في الآداب السلطانية، تح، عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، 1997،،
5. ابن بسام الشنتريني، الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة، مج 1، ق 4، تح، احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1979م.
6. ابن حيان، ابو مروان بن خلف بن حسين(ت 469 هـ/ 1076 م): المقتبس من انباء اهل الاندلس، تح محمود علي مكي، دارالثقافة، منشورات ا لس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة، 1971 م.
7. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت 808 هـ/ 1405 م): تاريخ ابن خلدون(المسمى العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر)، ، د.ط، دار احياء التراث العربي، د.م.ن، بيروت، لبنان، 1981 م.، ج4‘.
8. ابن عذاري، أبو العباس احد بن محد المراكشي البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، ، ط 2، دار الثقافة، د.م.ن، بيروت، لبنان، 1983 م. ج 2،
9. ابو الحسن بن هلال الصابئ، رسوم دار الخلافة، تح، مخائيل عواد، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986م، 171.

10. ابو بكر محمد بن عمر بن القوطية، تاريخ افتتاح. الاندلس، مج 2، تح: إبراهيم الابياري، ط 2، دار الكتاب اللبناني، د.م.ن، بيروت، 1989 .
11. أحمد بن محمد المقري التلمساني نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: احسان عباس، د.ط، دار صادر بيروت، 1408 هـ – 1988 م. مج 1/ 216. .
12. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع عشر، ، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدق، (د.ن.بيروت) ط 5. ج1.
13. سالم عبد الله خلف: نظم حكم الأمويين ن في الأندلس، ج، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 2003 م،
14. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الرحمن وافي، ط 3، دار نهضة
15. عبد الرحمن العزاوي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الخليج العربي، عمان، 2010م.
16. عبد الشافي عبد اللطيف، العالم الإسلامي في العصر الأموي، القاهرة: مكتبة دار السلام، 2008م.
17. محمد ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية.
18. محمد لبيب البتنوني: رحلة الاندلس، ط 2، مطابع مصر، د. ت.
19. يوسف بن حسن بن احمد الصالحي، إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة، تح، مجموعة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، 2011.